# الجيش المصري في مواجهة التدخل الأجنبي
# الثورة العرابية (١٨٨١ – ١٨٨٢م) نموذجاً

**د/ نبيل السيد الطوخي**

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية الآداب– جامعة المنيا

كان الجيش المصري عبر العصور القلب النابض لمصر وشعبها وتاريخها وتراثها، وكان الجيش المصري القديم هو أقدم وأعرق مؤسسة عسكرية في التاريخ، وكان ذلك الجيش هو الدرع والسيف الذي عمل على حماية مصر القديمة ومنجزاتها الحضارية العظيمة من قوى العدوان والتخريب والهجمات البربرية. كان هذا الجيش هو الحصن الحصين والدرع الواقي لمصر القديمة ولحضارتها الشامخة في مواجهة كل من تسول له نفسه الإعتداء على حدودها المقدسة، والحامي لأمن مصر من أي تهديد قد يواجهها[١] ويستقر الرأي لدى الباحثين في مجمل تاريخ العالم على أن المصريين هم أول من قدم فكرة الجيش كقوات نظامية تقوم بالدفاع عن البلاد من هجمات القبائل العابرة أو الطامعين في خيرات البلاد بعد نشأة ومولد كيان الدولة ذات الحضارة الزراعية المستقرة على ضفاف النيل ، [٢] وكفاح الجيش المصري ضد الغزاة والأعداء كفاح متصل عبر التاريخ ، وصفحات التاريخ قد سجلت للجيش المصري مواقفه الخالدة ضد هؤلاء الغزاة منذ أول استعمار في تاريخ مصر وهو غزو الهكسوس لها حوالي عام ١٧٣٠ ق.م[٣] وكانت تلك المعارك الحربية الضارية التى خاضها الجيش المصري من أجل تحرير بلادهم من دنس الغزاة الهكسوس صفحة مجيدة تعجز عن وصفها الكلمات في تاريخ مصر القديمة، ومن ثم فقد أدرك المصريون وقتها ما للقوة الحربية من أهمية كبرى وبالغة في سبيل تحقيق الأمن والأمان والاستقرار، وظل الجيش المصري منذ ذلك الوقت يقوم بدوره في مواجهة كل القوى الطامعة في مصر عبر العصور، وحققت العسكرية المصرية انتصارات عديدة وهي تواجه الأعداء، وكان الجيش المصري ولا يزال المدرسة الكبرى للوطنية المصرية ومصنع القيادات الواعية التى لعبت دورا مهما في تاريخ مصر عبر العصور.

وسوف نعرض لدور الجيش المصري في مواجهة التدخل الأجنبي في وقت وصل فيه التدخل الأجنبي مداه، وزاد التذمر من ضعف الحكومة وسوء إدارتها وتهاونها في حقوق المصريين، وتخاذلها أمام التدخل الأجنبي، وكان لهذا كله أكبر الأثر في قيام الثورة العرابية (١٨٨١ – ١٨٨٢) وفي أن يكون الجيش المصري طليعة الحركة الثورية في مصر وقوتها الدافعة.

**أحوال الجيش قبيل قيام الثورة العرابية:**

نجح محمد على في تأسيس جيش حديث من المصريين منذ عام ١٨٢٠ واستطاع هذا الجيش المصري الجديد أن يثبت جدارته الحربية في المعارك التى خاضها في أوروبا أثناء ثورة المورة وفي الشام أثناء حروب محمد على ضد السلطان العثمانى [٤] ، وكانت سياسة محمد على تقضي بعدم منح المصريين وظائف كبرى في الجيش [٥] لأنه لم يكن يثق فيهم كقادة ولا كضباط حيث خاف على سلطته منهم[٦]، وعندما كتب إبراهيم باشا بن محمد على إلى أبيه طالباً فتح باب الترقي أمام المصري للرتب العليا والقيادية رد عليه قائلاً: "ومن المعلوم يا ولدي أنني تجنبت حتى الآن ترقية العرب إلى الرتب العليا، وظللتُ محجما عنها مدة طويلة مقدراً النتائج التى ستترتب عليها بعد مائة سنة"[٧].

لقد كان محمد على يدرك بثاقب بصيرته وقدرته على تكوين رؤية مستقبلية أن المصري لن يتوانى عن الثورة على حكم أسرة محمد على إذا ما تولى المصري المراكز القيادية. ولقد كان محقاً في توقعه ولكن بعد أربعين عاماً فقط وليس بعد مائة عام.

وعندما تولى سعيد حكم مصر (١٨٥٤ – ١٨٦٣) أمر بانتظام أولاد العمد والمشايخ في سلك الجندية، وترقيتهم إلى رتبة الضابط من تحت السلاح[٨] وكان أحمد عرابي ورفاقه من زعماء الثورة العرابية من بين الفلاحين الذين دخلوا الجيش في عهد سعيد وترقوا إلى مراتب الضباط[٩]. ويرى البعض أن هذه الخطوة كانت من أهم الخطوات التى جعلت الجيش المصري يتصدر الحركة الوطنية[١٠].

ولما كان سعيد محباً لتقدم المصريين، فقد أرتقى في عهده الكثيرين منهم إلى المراتب العسكرية العالية ومنهم أحمد عرابي فقد وصل من رتبة جاويش إلى رتبة قائممقام (عقيد) في أقل من ست سنوات، وكان عرابي أول من حصل على رتبة قائمقام من المصريين على حد قولــه [١١].

وجاء إسماعيل إلى الحكم (١٨٦٣ – ١٨٧٩) ولم يكن نصيراً للضباط المصريين وكان يميز الضباط الشراكسة[١٢] والترك عليهم في المعاملة رغم ما بدا منهم من العجز والجهل وعدم الكفاية، مما ظهر أثره جلياً في الهزائم التى حاقت بالجيش سنة ١٨٧٥ – ١٨٧٦ في حرب الحبشة[١٣] وعاد عرابي ورفاقه من الضباط الوطنيين الذين اشتركوا في حرب الحبشة وقد نمت في أذهانهم بذور الثورة على الأوضاع القائمة[١٤].

ولم تلبث الوزارة الأوروبية الأولى التى كان يرأسها نوبار باشا[١٥] أن أدركت مصدر الخطر على الوصاية الأجنبية والنفوذ الأجنبي الزاحف، وهو الجيش، فعمدت في غير ذكاء إلى الاصطدام به وتصفيته بإنقاص عدده بحجة أن الحكومة عاجزة عن الإنفاق عليه، إذا أن معظم إيرادات الحكومة خُصصت لأداء أقساط الديون، فرأت تسريح عدد كبير من الجند، وقررت إحالة ٢٥٠٠ ضابط من ضباط الجيش دفعة واحدة إلى الاستيداع، ولم يكن الضباط قبل هذا القرار ينالون رواتبهم بانتظام، إذ كان متأخراً لهم مرتبات عشرين شهراً، وهذا وحده كان يكفي لتبرمهم واستيائهم[١٦] فقاموا بمظاهرة يوم ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩، وقد ترتب عليها سقوط وزارة نوبار في ١٩ فبراير سنة ١٨٧٩[١٧] وكان ذلك أول تدخل حقيقي للجيش في النظام السياسي[١٨] منذ تكوين الجيش النظامي في عهد محمد على[١٩]

هزت حركة الضباط وبعنف تلك الطاعة التى ألفوها، وغمرتهم الأحاسيس بأنهم أصبحوا أُقوياء، وأثبتت أن هناك تأزراً بين العسكريين والمدنيين، فأعلن علماء الدين تأييدهم للحركة وأفتوا بشرعيتها ، وساند الأعيان مطالبها، وتجلى سخط المصريين على ما هو قائم، ومن ثم عُدَّت مبشراً ونذيراً لثورة قادمة [٢٠].

**الجيش والثورة:**

منذ مظاهرة ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ تفشى السخط والقلق في صفوف الجيش المصري[٢١] وتذمر الضباط الوطنيون، من سوء معاملة عثمان رفقي ناظر الجهادية (وزارة الدفاع) للضباط الوطنيين، وتعصبه لأبناء جلدته من الشراكسة، كما أنه أخرج معظم الضباط المصريين من الجيش إلى المعاش قبل السن القانوني، ويضاف إلى ذلك أنه سن قانون للقرعة العسكرية في ٣١ يوليو سنة ١٨٨٠ يمنع بمقتضاه الترقي من تحت السلاح إلى رتبة الضباط مما يعوق ترقي الجنود المصريين وحرمانهم من الوصول إلى أي رتبه، بل ويجعلهم أنفاراً تحت تسلط الضباط من الأتراك والشراكسة[٢٢] وقد دفعت كل هذه المظالم الضباط الوطنيين إلى

التذمر، وعلى أثر ذلك تجمع الضباط المصريون في منزل أحمد عرابي (١٦ يناير ١٨٨١) لمناقشة وضعهم داخل الجيش، وأسفر الاجتماع عن تزعم أحمد عرابي لحركة مطالب الضباط وكتبوا عريضة تطالب رئيس مجلس النظار (الوزراء) بعزل ناظر الجهادية وتعيين مصري مكانه[٢٣].

ولم يكن من المتوقع أن تستجيب الحكومة لمطلب الضباط، بطبيعة الحال، بل تقرر اعتقال زعمائهم وتقديمهم للمحاكمة العسكرية وهم: أحمد عرابي، وعلى فهمي، وعبد العال حلمي، وفي أول فبراير سنة ١٨٨١ عقد مجلس عسكري لمحاكمتهم بديوان ناظر الجهادية بقصر النيل، وأثناء المحاكمة كان زملاء الضباط قد خرجوا على رأس فرقهم العسكرية وهاجموا مقر المحاكمة، فهرب المجلس العسكري، وخرج الضباط الثلاثة ومعهم بعض فرق الجيش وتوجه الجميع إلى قصر عابدين، وطلبوا من الخديو توفيق (١٨٧٩ – ١٨٩٢) عزل ناظر الجهادية وأصروا على البقاء، حتى تجاب مطالبهم، فصدر الأمر بعزل عثمان رفقي وتعيين محمود سامي البارودي ناظر للجهادية في أول فبراير سنة ١٨٨١ [٢٤] ، وقد ترتب على هذا الحادث نتائج خطيرة ، فانتصار العسكريين قد منحهم الثقة بأنفسهم وبمقدرتهم على تغيير الأوضاع القائمة وفق ما يشاءون كذلك كان لهذا الانتصار صدى قويا فى الأوساط الشعبية [٢٥] ، فقد بارك الشعب حركة الضباط حيث وجد فيها تنفيساً عن آلامه وتقديراً لآماله فى التخلص من ربقة التدخل الأجنبى ، كما أصبح عرابى وزملاؤه موضع اعجاب الأمة وتقديرها وتردد اسمه على أفواه الناس كأول فلاح مصرى يقف فى وجه الطغيان ويعبر عن آمال الشعب وآلامه ، ولم تمض عدة أسابيع على حادث قصر النيل حتى انهالت عرائض الفلاحين من جميع أنحاء البلاد على عرابى يبثون إليه شكواهم وما يقع عليهم من مظالم ففتح عرابى قلبه للجـميـع[٢٦] ، ولما اطمأن إلى أن الجيش فى قبضة يده ، والأمة تناصره ، شرع فى إحداث الإنقلاب الذى كان يرجوه فى نظام الحكم ، أو بعبارة أخرى أخذ يتأهب لمتابعة الثورة التى بدأها يوم أول فبراير ١٨٨١[٢٧].

وجد الخديو أن نفوذ الضباط آخذ فى الازدياد ، فبدأ يعمل على تحجيم وضعهم وتحديد نفوذهم بمختلف الوسائل ، فعزل محمود سامى البارودى وولى مكانه صهره داود يكن. والحق أن الخديوى كان يتآمر بغية الحاق الهزيمة بعرابى والقادة العسكريين الوطنيين [٢٨] ، وقد انتهى الأمر بأن وضع الجيش نفسه لأول مرة منذ العصر الفرعونى موضع القوة المنفذة لإرادة القوى الوطنية ، وتمثل ذلك فى اتفاق عرابى مع زملائه على حشد الجيش لمواجهة الخديو فى ساحة

قصر عابدين يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١، وبالفعل سار عرابى إلى ساحة عابدين بفرقته وفرق زملائه من فرسان ومشاة ومدفعية ، يحوط بهم آلاف من أفراد الشعب ، وتقدم عرابى إلى الخديو بمطالب الأمة وهى :

١- اسقاط وزارة رياض باشا والغرض من هذا المطلب اسقاط الوصاية الأجنبية التى تمثلها هذه الوزارة .

٢- دعوة مجلس شورى النواب (البرلمان) إلى الإنعقاد . والهدف منه إسقاط نظام الحكم المطلق .

٣- زيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألف . والغرض منه توفير الأداءة الرئيسية التى لا غنى عنها لدعم الاستقلال وحماية البلاد .

٤- التصديق على جميع القوانين العسكرية السابق وضعها إبان تولى البارودى نظارة الجهادية ، والغرض من هذا المطلب تحسين حالة الضباط والجنود والحفاظ على حقوقهم [٢٩] .

ورد الخديوى توفيق على عرابى قائلاً " كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد احساننا "، فرد عرابى بجملته الخالدة " نحن خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراثا وعقاراً فوالله الذى لا إله إلا هو أننا لا نورث ولا نستعبد بعد هذا اليوم" [٣٠] .

وكان لابد أن ينحنى الخديو مرة أخرى للعاصفة ، فالجيش والشعب من وراء عرابى ، فأقال رياض فى الحال وكلف محمد شريف باشا بتشكيل الوزارة مرة أخرى فتألفت فى ١٤ سبتمبر ١٨٨١ حيث عاد البارودى فيها ناظراً للجهادية مرة أخرى ، وسافر عرابى على رأس فرقته إلى رأس الوادى بالشرقية ، كما رحل عن القاهرة أيضا عبد العال حلمى بفرقته وبذلك كف – مؤقتاً – تدخل الجيش فى السياسة [٣١] . وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أن احمد عرابى لم يكن من النوع الذى يسعى إلى السلطة والثورة من أجل الحكم ، وإنما كان يضع مصالح وآمال مصر أمام أى هدف آخر [٣٢] .

ويرى البعض أن عرابى بعد ثورة ٩ سبتمبر ١٨٨١ أصبح حاكم مصر الحقيقى ، وبرز باعتباره زعيماً وطنياً وشعبياً وديمقراطياً فى نظر المصريين ، وأصبح مصدر السلطة الحقيقية فى مصر بعد انتصاره فى ملحمة عابدين يظاهره الجيش والأمة فى وقت واحد [٣٣]

**التدخل الأجنبى السافر :**

وبعد تأليف شريف وزارته قدم طلباً إلى الخديو توفيق بدعوة مجلس شورى النواب للإنعقاد ، ووافق الخديو ، وأجريت الانتخابات ، وعقد مجلس شورى النواب أولى جلساته فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨١ ، ورأت إنجلترا وفرنسا فى تشكيل مجلس النواب ما يمثل خطورة على مصالحهما ، لأن قيام نظام برلمانى سوف يجعل من التدخل الأجنبى الأوروبى أمراً صعباً ، على حين أن نظام الحكم المطلق المستبد يسهل أمور التدخل ، وعلى هذا فقد أرسلت الدولتان مذكرة مشتركة فى ٧ يناير ١٨٨٢ توحى كلماتها بالاستياء من قيام نظام برلمانى فى مصر ، وتذكر صراحة أن هذه الأحداث توجب التدخل لحماية عرش الخديو[٣٤] .

وقد قوبلت هذه المذكرة بثورة عارمة أدت إلى تكاتف الجيش والوطنيين ومجلس النواب ضد إنجلترا وفرنسا ، ومع أن الحكومة رفضت المذكرة فإن الخديو قبلها بالشكر والعرفان مما كان له أبعد الأثر فى تطور الحوادث فقد نجحت إنجلترا وفرنسا بذلك فى زيادة الهوة والإنقسام بين العرابيين والخديو [٣٥] ، ولم يكتفيا بذلك ، إذ طلب قنصلا الدولتين من شريف باشا بإيعاز من الرقيبين الأوروبيين ألا يخول مجلس النواب حق تقرير الميزانية ، وقدما فى ٢٦ يناير ١٨٨٢ مذكرة بهذا المعنى [٣٦]

وتحرج موقف شريف باشا وعرض على النواب تأجيل النظر فى الميزانية غير أن النواب تمسكوا بحق المجلس فى إقرار الميزانية باعتبار أن ذلك حق من حقوق الأمة الممثلة فى المجلس النيابى ، وأمام اصرار الطرفين على موقفهما بالنسبة لمناقشة الميزانية استقال شريف باشا ، وتألفت وزارة البارودى فى ٤ فبراير ١٨٨٢ واعتبرت وزارة العرابيين ، حيث عين عرابى ناظراً للجهادية والبحرية فى الوزارة الجديدة التى وضعت برنامجاً شاملاً للإصلاح ، وبادرت الوزارة بإعلان الدستور فى ٧ فبراير سنة ١٨٨٢ وإقرار حق مجلس النواب فى مناقشة الميزانية، وهنا احتج الرقيبان الانجليزى والفرنسى وطالباً قنصليهما بالتصرف [٣٧]

**مؤامرات الثورة المضادة :**

وكانت الصعاب تكتنف الثورة من كل جانب بحيث عرقلت تحقيق أهدافها الإصلاحية وحولت جهودها إلى مكافحة الأعداء الداخليين والخارجيين ، فلكى يثبت الثوار الوضع الجديد كان لزاما عليهم أن يطهروا الجيش من أعداء الثورة وأن يحاولوا القضاء على المحسوبية فى صفوفه لمصلحة الأتراك والشراكسة ، ولهذا أحالوا منه قرابة ثلاثمائة ضابط إلى الاستيداع ،

وتآمر هؤلاء الأعداء والشراكسة الذين كان يتزعمهم عثمان رفقى مع القوى المعادية للثورة لتدبير انقلاب يهدف إلى مقتل عرابى وقادة الجيش من الوطنيين وزعماء الحركة الوطنية ، غير أن هذه المؤامرة اكتشفها الثوار ، وأجرى التحقيق مع المتآمرين وحكموا على أربعين منهم وعلى رأسهم عثمان رفقى فى ٣٠ أبريل ١٨٨٢ بالنفى المؤبد إلى أقاصى السودان ، مع تجريدهم من الرتب العسكرية والامتيازات والنياشين [٣٨] ، ورفض الخديوى توفيق التصديق على الحكم بناء على نصيحة القنصلين الإنجليزى والفرنسى حتى لا تزداد قوة العرابيين ، فأهاج ذلك العرابيين ومن ثم تم التوصل إلى حل وسط حيث وافق الخديو على نفى المتآمرين من خارج مصر دون تحديد الجهة ، وعدم تجريدهم من الرتب والنياشين ( ٩ مايو ١٨٨٢) [٣٩] .

على أن هذا التعديل لم يحسم الخلاف بين الخديو والوزراء ، مما أدى إلى قيام نزاع بين الخديوى وبين العرابيين . حاول الأخيرون خلاله عزل توفيق والتخلص من أسرة محمد على وإعلان الجمهورية ، ولكنهم لم يجدوا فى ذلك تأييداً من سلطان باشا رئيس مجلس شورى النواب وباقى أعضاء المجلس الذين ينتمون إلى طبقة كبار الملاك ، والذين انحازوا فى هذا الموقف العصيب إلى جانب الخديوى ، وصاروا يعملون لإسقاط وزارة البارودى ، وهكذا تآمر الخديوى والجراكسة وكبار الملاك الزراعيين على الثورة فى الداخل ، بينما صارت فرنسا وإنجلترا تعملان ضدها من الخارج [٤٠] وبعثتا بأسطولهما إلى ميناء الإسكندرية فى ٢٠ مايو ١٨٨٢ استعداداً للتدخل المسلح ، وقابل الشعب المصرى وصولهما بالاستياء العام [٤١] وفى ٢٥ مايو ١٨٨٢ قدمت انجلترا وفرنسا مذكرة مشتركة إلى البارودى بصفته رئيساً لمجلس النظار وقد تضمنت المطالب الآتية :

١- رحيل عرابى مؤقتاً عن مصر ، مع احتفاظه برتبته ومرتبه .

٢- رحيل على فهمى وعبد العال حلمى إلى داخل البلاد ، بشروط مماثلة .

٣- استقالة النظارة [٤٢]

وكان من الطبيعى أن ترفض وزارة البارودى الاستقالة ، بل أن هذا الطلب زاد من تماسك العرابيين حيث أقسم الجميع ( البارودى وكبار الضباط ) يمين الدفاع عن البلاد والولاء للثورة ، وقام الشيخ محمد عبده بمهمة تحليف الضباط اليمين [٤٣] .

ورفضت الأمة المصرية هذه المذكرة ، وأرسلت التلغرفات لتأييد الوزارة الوطنية ، ومع ذلك فقد وافق عليها الخديو ، وطلب من النظار قبولها ، ولكنهم اعترضوا على ذلك وقدم محمود

سامى البارودى استقالته فى ٢٦ مايو ١٨٨٢ احتجاجاً على التدخل الأجنبى وقبول الخديو له ، فقبلها الخديو بناء على نصيحة انجلترا وفرنسا [٤٤] ، وبدأت محاولات لإبعاد عرابى أو رشوته ، لكنها لم تجد شيئاً أمام صلابة الزعيم الوطنى ، الذى ازداد تمسك الشعب به [٤٥] ، وأمام ضغط كافة طبقات الأمة اضطر الخديو توفيق وهو صاغر إلى إعادة عرابى ناظراً للجهادية والبحرية فى ٢٨ مايو سنة ١٨٨٢ قائلا أنه إنما يعيده إليها ازاء الرغبة العامة للشعب [٤٦] وعودة عرابى إلى منصبه كانت بمثابة الرد العملى على سياسة الدولتين (انجلترا وفرنسا) إزاء مصر، وهكذا فشلت مذكرة ٢٥ يناير فشلاً ذريعاً ، بالرغم من لهجتها الصارمة ، فى حمل المصريين على الإذعان [٤٧] ، ولم يبق أمام انجلترا وفرنسا سوى التدخل العسكرى .

**الجيش المصرى يقاوم الاحتلال الإنجليزى :**

وقفت السياسة الإنجليزية من الثورة موقف المعارضة ، وبذلت قصارى جهدها من أجل تحطيمها والقضاء عليها سواء بالرغبة فى نفى قادتها أو حل مجلس نوابها أو تسريح جيشها ، ولكنها فشلت أمام تصميم قوى الثورة التى تمكنت من فرض نفسها ، وأخيراً وجدت انجلترا أنه لابد من التدخل الحربى واستعمال القوة لتجبر الثورة على الاستسلام [٤٨] ، ولكى تثبت انجلترا عجز عرابى عن حفظ الأمن ولتتيح لنفسها فرصة التدخل ، دبرت مذبحة الإسكندرية فى ١١ يونية عام ١٨٨٢ [٤٩] والتى راح ضحيتها كثيرون من الأهالى والأجانب [٥٠] ، ولقد كان هذا الحادث هو الذى عجل بتدخل بريطانيا المنفرد .

**ضرب الإسكندرية :**

وكان الإنجليز عقب مذبحة الإسكندرية يبحثون عن وسيلة للإحتلال وقد وجدوها أخيرا كما يجد الذئب الوسيلة لافتراس الحمل ، فقد وجد الأميرال سيمور قائد الأسطول البريطانى من الترميمات التى كانت تقوم بها القوات المصرية فى حصون الإسكندرية وسيلة لتحقيق غرضه ، فطالب بالكف عن أعمال التحصين الجارية فى الحصون ، ولم يكتف بذلك ، بل طلب أن تسلم له الحصون التى يزعم أنها تهدد الأسطول البريطانى [٥١] ، وصمم قادة الثورة على رفض الإنذار والدفاع عن البلاد ، ورفض مجلس الوزراء [٥٢] هذا الإنذار وقرر المقاومة وأرسل بالإحتجاج التالى " لم تعمل مصر شيئاً يقضى بإرسال هذه الأساطيل المتجمعة ، ولم تعمل السلطة المدنية ولا السلطة العسكرية أى عمل يسوغ مطالب الأميرال

إلا بعض إصلاحات إضطرارية فى أبنية قديمة ، والطوابى الآن على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل ، ونحن هنا فى وطننا وبيتنا ، فمن حقنا ، بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عدو ومباغت يقوم على قطع أسباب الصلات السلمية التى تقول الحكومة الإنجليزية إنها باقية بيننا ، ومصر الحريصة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ، ولا أية طابية ، دون أن تكره على ذلك بحكم السلاح ، فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم ، وتوقع مسئوليات جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التى تنجم إما عن هجوم الأساطيل ، أو عن إطلاق المدافع، على الأمة التى تقذف فى وسط السلام القنبلة الأولى على الإسكندرية المدينة الهادئة مخالفة بذلك لأحكام حقوق الإنسان ولقوانين الحرب[٥٣] " . وفى الساعة السابعة صباح يوم الثلاثاء الموافق ١١ يولية سنة ١٨٨٢م أعطى الأميرال سيمور إشارة الضرب ، وأخذ الأسطول البريطانى فى إطلاق قذائفه على الإسكندرية ، ولم تجاوبها مدافع القلاع إلا من بعد إطلاق مدافع الأسطول نحو ٢٠ طلقة ، ثم استمر القتال بين الأساطيل الإنجليزية وقلاع الإسكندرية يعد ذلك إلى منتصف النهار ، ثم أخذت نيران الاستحكامات فى التناقص حتى تم تدميرها قبل الغروب[٥٤].

وبدأت الحرب بين أكبر إمبراطورية فى العالم حينذاك ومصر التى تخلى عنها الجميع حينذاك ، والتى لا تملك من السلاح إلا أقله [٥٥] ، ودارت معركة غير متكافئة ، استبسل فيها المصريون استبسالاً عظيماً ، ويصف جون نينيه عميد الجالية السويسرية فى مصر سنة ١٨٨٢ حماسة المصريين فى الدفاع عن وطنهم فيقول " ومع ذلك فما كان أبدع هذا المنظر ، منظر الرماة المصريين الذين ، كانو قائمين على مدافعهم وهى مكشوفة فى العراء وكأنهم فى استعراض حربى لا يرهبون الموت الذى يكتنفهم إذ لم يكن لهم دوارع واقية ولا متاريس وكانت معظم الحصون بلا ساتر ، ومع ذلك فهؤلاء الشجعان من أبناء النيل كنا نلمحهم وسط الدخان الكثيف كأنهم أرواح الأبطال الذين سقطوا فى حومة الوغى ثم بعثوا ليكافحوا العدو من جديد ويستهدفوا لنيران مدافعه ، وكان الأئمة يزورون الحصون ويشجعون المقاومة ، وقام الجميع بواجبهم من جند ورجال ونساء وصغار وكبار ، ولم يكن ثمة أوسمة ولا مكافآت تستحث أولئك الفلاحين على أداء واجبهم ، بل إن عاطفة الوطنية والثورة على الفظائع التى استهدفوا لها كانت تستثير الحماسة فى صدورهم وهم أولئك الشجعان المجهولون الذين لم يفكر أحد فى آلامهم (٥٦).

وفى هذه المحنة جاد كل فرد فى الأمة المصرية بما يملك لمؤازرة الثورة ومواصلة القتال ، ويجدر بنا هنا أن نشير إلى ما قام به الأهالى من تضحية وجهاد ، رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وحصون وبوارج ، وفى ذلك يقول الإمام محمد عبده "تحت مطر الكلل (القذائف المشتعلة ) ونيران المدافع كان الرجال والنساء من أهالى الإسكندرية هم الذين ينقلون الذخائر ويقدمونها إلى بعض بقايا الطوبجية الذين كانو يضربونها وكانوا يغنون يلعن الأميرال ومن أرسله [٥٧] ، وقال عرابى " وفى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر الحربية وإعطائهم الماء وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم إلى المستشفيات [٥٨] .

وقال محمود فهمى المهندس " ورأيت فى ذلك الوقت بعينى ما حصل من غيرة الأهالى بجهة رأس التين وأم كبيبة وطوابى باب العرب وهمتهم فى مساعدة عساكر الطوبجية من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات هم ونساؤهم وأولادهم وبناتهم، والبعض من الأهالى صار يعمر المدافع ويضربها على الأسطول [٥٩]، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على التعاون الوثيق بين الجيش والشعب وتآزرهما ضد الإنجليز، والحقيقة أن الشعب المصرى بدأ فور ضرب الإسكندرية فى التطوع للدفاع عن البلاد طوعا واختياراً [٦٠] وحدثت حركة تطوع واسعة من قبل الفلاحين للإنضمام إلى صفوف الجيش فى تلك الفترة للدفاع عن الوطن [٦١]، وهكذا وقف المصريون وإن حاقت بهم الهزيمة موقف الدفاع والكرامة، وبلغ عدد الضحايا بين المصريين فى الإسكندرية نحو ألفين غير من جرحوا، أما الإنجليز فلم يزد قتلاهم عن خمسة وجرحاهم عن تسعة عشر [٦٢].

**موقف الخديو توفيق من الاحتلال .**

ومنذ ١١ يوليو ١٨٨٢ كانت هناك لغتان فى مصر فالخديوى ورجاله يتكلمون لغة التسليم للإنجليز حتى قبل بدء القتال ، وعرابى ورجاله يتكلمون لغة الجهاد حتى النهاية ، ووصل الأمر إلى أن الخديوى توفيق كان فى قصره لا يخفى ابتهاجه بضرب الإسكندرية ولا يخفى شماتته فى هزيمة الجيش المصرى [٦٣] ، لقد اصبح حلمه بالتخلص من عرابى ومن الحركة الوطنية " قاب قوسين أو ادنى " ولا يهمه إذا تم ذلك بقوة البوارج الإنجليزية أو أن ضاعت مصر كلها واستقلالها من أجل الحفاظ على كرسى عرشه [٦٤] وأصبح توفيق قلباً وقالباً مع الانجليز لدرجة أنه منع الخبز عن القوات المصرية وأمر بإرساله للقوات البريطانية(٦٥)، وكان الخديو توفيق متفقاً مع الإنجليز على التدخل حتى أنه طلب إليهم

فى يوم ٧ يوليو ١٨٨٢ أى قبل أربعة أيام من ضرب الإسكندرية ، إنزال الجنود البريطانيين إلى البر فوراً عقب الضرب [٦٦]. ولم يقم توفيق بأى عمل يعارض به التدخل الأجنبى وفى ١٩ يولية ١٨٨٢ راح يشجع استعجال نزول القوات البريطانية إلى الأرض المصرية فى اسرع وقت [٦٧] ، وكلف الإنجليز بالمحافظة على النظام بالإسكندرية [٦٨] ويكتب الخديو إلى عرابى يوم ١٧ يوليو ١٨٨٢ وهو فى كفر الدوار مع جنوده حيث قاموا بعمل استحكامات منيعة لصد القوات الإنجليزية ومنعها من التوغل داخل البلاد قائلاً بأنه ليس هناك أدنى خصومه ولا عداوة مع الإنجليز ، ويطلب منه أن يكف عن التجهيزات الحربية، ويأمره بالحضور إلى سراى راس التين [٦٩]، غير أن عرابى رفض طلب الخديو واستمر فى استعدادته ، واتهم الخديو بالخيانة وأنه سبب ما نزل بمصر من مصائب ، ودعا عرابى إلى عقد جمعية عمومية من الذوات والأعيان والعلماء والموظفين وممثلين عن كافة الطوائف ليعرض عليهم الموقف وما يجب عمله رداً على موقف الخديو المؤيد للإنجليز ، وعقدت الجمعية العمومية اجتماعهاً فى مساء يوم الاثنين ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢ وقررت بالإجماع الاستمرار فى قتال الإنجليز [٧٠] ، وقد رفض الخديو قرارات الجمعية العمومية وأصدر أمراً فى ٢٠ يولية سنة ١٨٨٢ بعزل عرابى من منصبه بدعوى أنه لم يتوقف عن التحصينات والاستعدادات الحربية ، واجتمعت الجمعية العمومية مرة أخرى فى ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ وقررت بقاء عرابى بمنصبه ليقوم بالدفاع عن البلاد ضد العدو [٧١].

وتليت فتوى شرعية أثناء الاجتماع من الشيخ عليش والشيخ حسن العدوى والشيخ محمد أبو العلا الخلفاوى " بمروق توفيق عن الدين كمروق السهم من الرَّمية ، لخيانته دينه ووطنه." [٧٢]، وقد أدت هذه الفتوى إلى تماسك الأهالى والرأى العام خلف عرابى فى هذه اللحظة العصيبة [٧٣].

كما اتخذت الجمعية العمومية قراراً بعدم إطاعة أى أمر من أوامر الخديوى ووزرائه المقيمين معه فى الإسكندرية " حيث أن الخديو خرج عن الشرع الشريف والقانون المنيف " [٧٤] وعلى الرغم من عدم صدور فتوى شرعية بإسقاط توفيق من على عرش الخديوية ، إلا أنه اعتبر شبه معزول أمام قوى الشعب [٧٥]، وهكذا خان الخديو توفيق بلده وجيشه وقاوم ثورة الشعب بقيادة عرابى ، واستعان بالجيش الإنجليزى ليحمى عرشه فكان أن نال غضب الشعب [٧٦] ، أما عرابى فنال ثقة الأمة وتأييدها لدوره المهم فى الدفاع عن البلاد ضد عدوان الإنجليز ومناصريهم ، وقد أطلق عليه فى ذلك الوقت " حامى حمى الديار المصرية

" [٧٧] وكان الناس يتجهون بوجوههم إلى السماء ويرفعون أكفهم كلما ذكر اسم عرابى قائلين " الله ينصرك يا عرابى " [٧٨] .

**معارك كفر الدوار**

بعد سقوط الإسكندرية ، تحصن عرابى بجيشه فى كفر الدوار استعداداً لجولة ثانية مع الغزاة وهنا استطاع الجيش المصرى أن يثبت أمام الإنجليز بنجاح نحو خمسة أسابيع يعيد كل الهجمات بل يدفع العدو بهجمات مضادة إلى ما يقرب من أبواب الإسكندرية ، ولو لم يكن هناك باب آخر لدخول مصر غير كفر الدوار لظفرت الحركة القومية بالنجاح وما نجح الإنجليز فى احتلالها [٧٩].

وكانت أولى المعارك التى دارت بين الجيش المصرى والإنجليز هى معركة الرمل فى ٥ أغسطس ١٨٨٢، ودام القتال فيها ثلاث ساعات ونصف ، وحمل المصريون على الإنجليز حملة قوية ، وأضطروهم إلى التقهقر إذ ولوا الأدبار منهزمين [٨٠]

**معركة عزبة خورشيد ( ٧ أغسطس ١٨٨٢) :**

وهاجم الإنجليز مقدمة الجيش المصرى فى كفر الدوار على ثلاث جبهات فلما إلتقوا بالمصريين صمد هؤلاء لقتالهم ودافعوا فى هذه المعركة دفاعاً مجيداً ، ودام القتال فى هذه المعركة نحو أربع ساعات انتهت بتقهقر الإنجليز منهزمين ، وتكبدوا خسائر فى الأرواح أكبر من خسائر الجيش المصرى [٨١]

**معركة ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٢ :**

هجم الإنجليز على كفر الدوار يوم السبت ١٩ أغسطس وزحفوا بقوات كبيرة ، جاء جانب منها بالقطارات المسلحة من ناحية القبارى ، ودارت معركة شديدة بينهم وبين المصريين، فصدهم المصريون عن التقدم بعد أن كبدوهم خسائر كبيرة ، ودام القتال ثلاث ساعات حتى غروب الشمس ، وكان يتولى قيادة الجيش المصرى فى هذه المعركة طلبة باشا عصمت قومندان فرقة كفر الدوار ومعه رضا باشا ومصطفى بك عبد الرحيم وعيد بك محمد وأحمد بك عبد الغفار والقائمقام أحمد بك عفت والقائممقام سليمان سامى داود ن وبدوى بك حكمدار المدفعية ، وانتهت المعركة بارتداد الإنجليز إلى الإسكندرية [٨٢] .

وتعتبر هذه المعركة أشد معارك جبهة كفر الدوار ، كما كانت انتصاراً للقوات المصرية ضد الهجوم الشامل من القوات الإنجليزية ، وقد عاود الإنجليز الهجوم على مقدمة كفر الدوار يوم ٢٠ أغسطس واستمر ضرب المدفعية بين الطرفين لمدة ساعتين انسحب بعدها العدو ، وهذه المعركة تعتبر أيضاً من المعارك الهامة التى أثبتت صمود الجيش المصرى وهاجمت القوات الإنجليزية مدخل كفر الدوار يومى ٢١ ، ٢٢ أغسطس التى دافع عنها المصريون خير دفاع ، واضطرت القوات الإنجليزية إلى الإنسحاب [٨٣] .

واستمرت معارك كفر الدوار حتى قرب نهاية الحرب ، فهاجمت القوات الإنجليزية مدخل كفر الدوار فى ٤ سبتمبر و ٨ سبتمبر ١٨٨٢ ولكن القوات المصرية استطاعت وقف الهجوم المتتالى للإنجليز [٨٤] ، والواقع أن هذه الجبهة كانت محصنة تماماً وقد فشل الجيش الإنجليزى فى اختراقها طوال خمسة أسابيع [٨٥]، وهكذا كانت وقائع كفر الدوار سجلاً مجيداً فى تاريخ صراع المصريين ضد الغزاه والمستعمرين وواحدة من الصفحات المشرفة فى تاريخ العسكرية المصرية.

**أمة عظيمة فى ساعة المحن :**

وجدير بالذكر أن المصريين وقفوا بجوار جيشهم فتطوع الكثيرون فى الجيش جنودا يجودون بأرواحهم فى سبيل الدفاع عن الوطن ، وبدأت حركة التطوع فى القاهرة والأقاليم عقب ضرب الإسكندرية ، والحق أن المصريين أثبتوا أنهم أمة عظيمة فى ساعة المحن ، فقد تطوعوا لإمداد الجيش بكل ما يستطيعون من نفس ومال وغلال وعتاد ومئونة وخيول ومواشى ، وجادوا بكل ما فى مقدورهم بحق أن هذا واجب تفرضه عليهم الوطنية والدين [٨٦] . وعن كرم المصريين وسخائهم يذكر أحمدعرابى فى مذكراته " قامت هذه الحرب الشعواء وليس فى خزائن الحكومة درهم ولا دينار لأن المراقب الإنكليزى المستر (كولفن ) أخذ الأموال الموجودة فى خزينة المالية وأنزلها فى الدوننمة ( سفن الأسطول ) الإنكليزية قبل إعلان الحرب بأيام وكذلك الأموال الموجودة فى صندوق الخزينة العمومى حملها أعضاء قومسيون الصندوق إلى المراكب الحربية حيث امنوا عليها [٨٧] ويذكر محمود فهمى المهندس " وتباهت الأمة المصرية وتفاخرت سكان المدن والأقاليم فى جميع أنحاء القطر المصرى فى جمع الإعانات اللازمة للعساكر من نقود وغلال وملبوسات ومأكولات ولحوم وخضروات وتبون وخيول وبغال لجر المدافع والخيالة ، وكذا الستات والهوانم والبرنسات ، وصارت الإعانات ترد يومياً إلى ديوان الجهادية ومركز كفر الدوار ، ومراكز

جهاز إقامة العساكر حتى كانت المهمات الواردة من طرف أرباب الإعانات فى مركز كفر الدوار تلالا وآكاما " [٨٨]

وعن دور المرأة المصرية فى الوقوف بجوار الجيش يذكر جون نينيه أن " سيدات الحريم وأميرات أسرة محمد على وأمهات وأخوات الجنود يتنافسن بكل حمية فى جميع الأعمال التى تمكنهن من خدمة الجيش [٨٩].

ويمكن القول أن الأمة المصرية أمدت الجيش المصرى بسخاء من مال وعتاد ورجال ، وقل أن نجد فى تاريخ الحروب حربا كهذه الحرب التى لم ينفق فيها قرش واحد من خزائن الدولة والتى قامت على ما بذل الشعب طائعاً من أقواته وأمواله ودماء رجاله [٩٠] ، وقد وقف الجيش المصرى فى خطوط دفاعه مستنداً على الأمة المصرية بكافة طوائفها والتى اثبتت بحق أنها أمة عظيمة فى ساعة المحن .

**منشورات الخديو إلى المصريين :**

أما الخديو توفيق فاصدر منشوراً فى ٧ أغسطس أثناء اشتعال القتال بين الجيش المصرى وجيش الاحتلال يحذر فيه المصريين من الانضمام لعرابى العاصى ويتوعد كل من ينحاز إليه بالعقاب [٩١] ثم اصدر منشوراً آخر بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٨٨٢ يحذر فيه الأمة المصرية من مناصرة عرابى العاصى ويدعوها لمناصرة الانجليز ومساعدتهم لأنهم ينوبون عنه فى محاربة العصاة [٩٢] .

ولم يكن هذا أول أمر يصدره توفيق إلى الجيش المصرى وإلى موظفى الدولة ، بإطاعة أوامر قوات الاحتلال ، ففى ١٤ أغسطس سنة ١٨٨٢م أصدر أمراً بالترخيص للجيش البريطانى باحتلال القناه [٩٣] . .

ولما تأكدت الجماهير من موقف الخديو توفيق خرجت تهتف " " يا توفيق يا وش القملة .. مين قالك تعمل دى العملة " وتواتر الدعاء عليه : " البغل فى الإبريق يا رب خد توفيق [٩٤]

ورغم هذه المنشورات ، فإن التأييد الشعبى لعرابى وللثوار كان جارفاً ، بل إن بعض سيدات الأسرة العلوية الحاكمة تضامن مع الثورة وتبرعن بحليهن وأموالهن وجياد مزارعهن لصالح المجهود الحربى[٩٥].

**معارك الجيش فى الميدان الشرقى :**

قبل أن نتكلم عن معارك الجيش فى الميدان الشرقى يجدر بنا أن نتعرف اولا على قوة الجيش المصرى ن فقد كان الجيش النظامى المصرى لا يزيد على ١٩,٠٠٠ مقاتل موزعين بين مختلف المواقع ، وقد انضم إلى هذا الجيش عدد من المتطوعين والعربان ، ولكن الوقت لم يكن يسمح بتدريبهم على الحركات النظامية فلم يكن منهم فائدة [٩٦] . أما الجيش الإنجليزى فقد بلغ عدده قبل معركة التل الكبير ٥٠,٦٠٠ مقاتل ، ويتضح من ذلك أن عدد الجيش الانجليزى كان يزيد عن ضعف عدد الجيش المصرى ، وهذا وحده كان نذيراً بسوء العاقبة [٩٧] .

وجدير بالذكر أن اهتمام الإنجليز بالميدان الشرقى بدأ منذ بداية الحرب ، وذلك لإمكان استخدام قوتهم البحرية عن طريق القناة ، ولأن استحكامات كفر الدوار أثبتت صعوبة اقتحام هذه الخطوط وكفاءة القوات الموجودة بها [٩٨] .

وقد بدأت نذر الهجوم فى الميدان الشرقى فى يوم ٢٦ يولو ١٨٨٢ عندما اقتحمت احدى السفن الإنجليزية القناه عند بورسعيد ، وألقت مراسيها فى بحيرة التمساح يوم ٢٧ يوليو ١٨٨٢ ، واحتل الإنجليز السويس فى ٢ أغسطس ١٨٨٢ دون قتال ، وفى يوم ٢٠ أغسطس احتل الإنجليز بورسعيد دون مقاومة أيضاً ، كما احتلوا القنطرة والإسماعيلية والشلوفة . وبذلك جعل الإنجليز قناة السويس قاعدة حربية للزحف على مصر[٩٩] .

ولو ردم عرابى القناة لاستحال على الإنجليز أن يدخلو بأساطيلهم على الإسماعيلية وأن ينزلوا جنودهم فى السويس وبورسعيد كما فعلوا وقد قال ولسلى قائد الحملة البريطانية ما نصه " لو أن عرابى قد أفلح فى سد القناة كما أراد لكنا ما زلنا إلى الآن فى البحار البعيدة نحاول محاصرة مصر ! إن تأخره أربعاً وعشرين ساعة قد أنقذنا ! " [١٠٠] .

وقد كان أول التحام بين المصريين والإنجليز فى الميدان الشرقى – فى نفيشة التى لم تكن محصنة فسقطت فى يد الأعداء فى ٢٣ أغسطس ١٨٨٢ [١٠١]

وقام الجيش المصرى بسد ترعة الإسماعيلية فى نقطة (المجفر) غرب مدينة الإسماعيلية ليمنعوا ورود المياه العذبة إلى الجيش البريطانى، وهاجم الجنرال ولسلى (المجفر) يوم ٢٤ أغسطس واحتلها بجنوده [١٠٢] وتابع الانجليز زحفهم فاستولوا على المسخوطة يوم ٢٥ أغسطس بعد معركة عنيفة دارت بينهم وبين الجيش المصرى ، وكان يقود الجيش المصرى فيها الفريق راشد باشا حسنى ، وخلال القتال وقع المهندس محمود

باشا فهمى رئيس أركان حرب الجيش المصرى وأكفأ ضباطه فى الأسر وذلك نتيجة لعدم اتخاذ احتياطات الحراسة اللازمة بالنسبة له ، وكانت عملية أسره ضربة قاسية أصابت الجيش المصرى معنوياً فى الميدان إصابة بالغة فى وقت بالغ الحرج [١٠٣] .

واستولى الانجليز على المحسمة يوم ٢٥ أغسطس وهى محطة تبعد عن نفيشة غربا باثنين وعشرين كيلو مترا ، وصارت المسافة بينهم وبين التل الكبير مسافة لا تتجاوز أربعة وعشرين كيلو مترا ، وكان الاستيلاء على المحسمة على جانب كبير من الخطر ، لأنه الخطوة الأولى التى اتخذها الانجليز للوصول إلى معسكر الجيش المصرى فى التل الكبير ، وبعد أن استتب الأمر للإنجليز فى المحسمة وبفضل المعلومات التى وصلت إليهم من الخونة والجواسيس عن ضعف الدفاعات فى القصاصين، أسرع الجنرال ولسلى بدفع لواء الفرسان تجاه بلدة القصاصين وتمكن من احتلالها يوم ٢٦ أغسطس ، وأصبحت القوات الإنجليزية على بعد خمسة عشر كيلومترا من منطقة دفاعات المصريين الرئيسية فى التل الكبير [١٠٤] .

**انتقال عرابى إلى الميدان الشرقى :**

بعد أن تم أسر محمود فهمى باشا ، وبعد احتلال المحسمة والقصاصين انتقل عرابى من كفر الدوار إلى التل الكبير ، وعلى طول تلك المسافة كانت الجماهير تستقبله فى كل محطة طالبة النصر وتردد " الله ينصرك يا عرابى " ، يا مولانا يا عزيز أهلك عسكر الانجليز ، ياسيمور يا وش القملة ! مين قالك تعمل دى العملة ، يا محنى ديل العصفورة وجيوشنا هى المنصورة [١٠٥] .

وكانت الثقة فى النصر متناهية والعمل من أجله واضحاً ، وتشاور عرابى وقادة الجيش فيما يجب عمله ، فاتفقوا على مهاجمة مواقع الانجليز فى القصاصين لاستردادها ، وازداد نشاط الجواسيس البريطانيين والخونة فى توصيل أدق المعلومات عن المصريين ومواقعهم للقوات البريطانية [١٠٦] .

**معركة القصاصين الأولى ( ٢٨ أغسطس ١٨٨٢) :**

هاجم الجيش المصرى مواقع الإنجليز فى القصاصين بقيادة الفريق راشد باشا حسنى ، وكان هجوماً شديداً ، فاستولوا على المواقع الأمامية للإنجليز ، ولكن الفرسان البريطانيين ما لبثوا أن ضغطوا على القوات المصرية ، فاضطرت للإنسحاب منها إلى التل

الكبير بعد أن كبدت القوات البريطانية خسائر جسيمة ، وكادت تجبرها على الإنسحاب لولا تدخل لواء الفرسان البريطانى [١٠٧] .

**إعلان السلطان العثمانى عصيان عرابى ( ٦ سبتمبر ١٨٨٢) :**

بدل من أن تعاون دولة الخلافة (تركيا) مصر فى محنتها العسكرية منذ بداية التهديد البريطانى بالأساطيل والجيوش وقف السلطان العثمانى الضعيف والمتردد والخاضع كلياً لمطالب الغرب لينفذ ما يأمرون به فى احدى ولاياتها (مصر) . فقد بادر السلطان تحت ضغط من بريطانيا بإعلان عصيان عرابى يوم ٦ سبتمر ١٨٨٢م [١٠٨] ، ولا شك أن اعلان عصيان عرابى والحرب قائمة هو تدبير منطو على المكر والخبث وضعته انجلترا لإضعاف قوة المقاومة فى مصر وتمكين جيشها من احتلال البلاد [١٠٩] .

وقد ابتهج الخديو توفيق بهذا المنشور وعهد إلى سلطان باشا توزيع نسخ من جريدة
( الجوائب ) التى نشرته والاتصال بضباط الجيش المصرى لإطلاعهم عليه ، ووزع عليهم منشورات بهذا المعنى ، وتنقل سلطان باشا فى البلاد لدعوة العمد والأعيان لمساعدة الإنجليز وقد أحدثت هذه المنشورات تأثيراً كبيراً فى حالة الجنود والضباط المعنوية فخارت قواهم ويئسوا من الفوز وضعفت حميتهم الدينية إذ اعتبروا انفسهم "عصاة على السلطان مخالفين لكتاب الله وسنة رسوله"[١١٠].

وجدير بالذكر أن انجلترا استطاعت بهذا المنشور تغيير ميزان المعركة ليس حربيا فقط بل وسياسيا أيضا ، وأحمد عرابى على حد قول إحسان عبد القدوس هزم سياسيا قبل أن يهزم عسكريا وهو يقود الثورة لصد الغزو البريطانى [١١١] .

**معركة القصاصين الثانية (٩سبتمبر ١٨٨٢) :**

تعد هذه المعركة أكبر معركة وقعت بين الجيش المصرى والانجليز ، هجم فيها المصريون بقيادة الفريق راشد باشا حسنى على مواقع الانجليز فى القصاصين يريدون استردادها للمرة الثانية واحتدم القتال نحو ثلاث ساعات ، ولكن المعركة انتهت بتراجع المصريين بعد أن كادوا يوقعون بالجيش الإنجليزى ، والسبب فى ذلك يرجع إلى خيانة الأميرالاى على بك يوسف خنفس الذى سلم خطة الجيش المصرى لولسلى، وخيانة شيخ

العرب سعود الطحاوى ورجاله الذين ضللوا محمود سامى البارودى فلم يصل إلى ميدان المعركة فى الوقت المحدد بفضل الأموال التى دفعها سلطان باشا بأوامر الخديو لهم [١١٢] .

وذكر أحمد عرابى فى مذكراته أن " راشد باشا حسنى و على باشا فهمى ومن معهما من الجيش ثبتوا ثبات الأبطال حتى آخر النهار ، وجرح راشد باشا حسنى فى قدمه برصاصة وعلى باشا فهمى برصاصة فى ساقه [١١٣] .

ويقول جون نينيه عن هذه المعركة إن اصابة القائدين الباسلين "راشد باشا حسنى وعلى باشا فهمى فيها كانت خسارة كبرى مني بها الجيش المصرى لا تقل فى فداحتها عن أسر محمود باشا فهمى"[١١٤].

**معركة التل الكبير ( ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ ) :**

بعد إصابة راشد باشا حسنى وعلى باشا فهمى استدعى عرابى على باشا الروبى من مريوط ، وعهد إليه بالقيادة فى معركة التل الكبير ، ولم يكن على حد قول الرافعى على حظ من الكفاية الحربية ، أضف إلى ذلك أنه حضر قبل المعركة بيوم واحد ، وهو وقت لا يكفى للتعرف على مواقع القتال فى تلك الناحية ، ووضع الخطط الصالحة للدفاع ، وكان الجيش المصرى بالتل الكبير لا يزيد على عشرة آلاف أو اثنى عشر ألف جندى ، والباقون كانوا من الجنود الذين لم يسبق لهم إطلاق بندقية واحدة ، أضف إلى ذلك أن خيرة الجنود لم يكونوا بالتل الكبير بل كانوا فى كفر الدوار ، بقيادة طلبة باشا عصمت أو فى دمياط بقيادة عبد العال باشا حلمى ، وهؤلاء لم يشتركوا فى المعركة قط ، بينما كان الجيش الإنجليزى بقيادة ولسلى يتكون من ثلاثة عشر الف [١١٥] .

واستعان القائد البريطانى ولسلى بالخونة من المصريين أعوان الخديو ومنهم القائد الخائن على يوسف خنفس [١١٦] والأميرالاى عبد الرحمن بك حسن الذى كان معهوداً إليه حراسة مقدمة الجيش المصرى والذى انسحب منها متعمداً ليلة الزحف وكذلك تعمد الأميرالاى على خنفس ترك قواته لمنطقة دفاعاتها فى وسط الخط الدفاعى واستخدم بعض الأدلاء لإرشاد قوات البريطانيين لحظة تقدمها من خلال دفاعات المصريين فى ظلمة الليل ، كما استعان الإنجليز بالخونة من عرب الهنادى للعمل كأدلاء للإنجليز فى تقدمهم الليلى بالإضافة إلى كثير من الضباط المواليين للخديو [١١٧] .

فتح خنفس وأمثاله الطريق أمام الجيش البريطانى ، فكانت معركة التل الكبير معركة حارب فيها ضد المصريين الجنيه الإنجليزى أكثر مما حارب فيها الجندى الإنجليزى ، فقد أبلغ خنفس قيادته أن طلائعه الاستكشافية اثبتت أن الإنجليز لا ينوون الهجوم ، وبعد ذلك بقليل وعند فجر يوم ١٣ سبتمبر فوجئ المصريون بالأعداء وفى مقدمتهم الأميرالاى عبد الرحمن ومن خلفه خنفس [١١٨] وأخذ المصريون على غرة فى الميمنة والميسرة ، وصمد للدفاع آلايان من السودانيين بقيادة الميرالاى محمد بك عبيد وظلوا يدافعون ضد الإنجليز حتى استشهد معظمهم وقتل قائدهم البطل محمد عبيد [١١٩] .

واستبسل أيضا فى القتال آلاى من البيادة بقيادة أحمد بك فرج ، وألاى عبد القادر بك عبد الصمد [١٢٠] أما حسن رضوان قائد المدفعية فإنه اصلى الإنجليز بمدافعه ناراً حامية ، وأوقع بهم خسائر جسيمة مع تفوق مدفعيتهم وظل يقاتل حتى سقط جريحاً ، ولما حمل أسيراً إلى ولسلى وأقبل حسن يقدم إليه سيفه – على حسب مألوف الحروب – لم يشأ ولسلى أن يأخذه إقراراً منه بشجاعته وسمو جنديته ! [١٢١] .

ولم يزد عدد الجنود الذين اشتركوا فى المعركة على ثلاثة آلاف ، أما الباقون فقد تولاهم الذعر فألقوا أسلحتهم ولاذوا بالفرار ، ولم تزد المعركة أكثر من عشرين دقيقة ، ولم تزد خسائر الإنجليز منها عن ٥٧ قتيلاً منهم ٩ ضباط و ٤٨ صف ضابط وجندى و ٤٠٢ جريحاً منهم ٢٧ من الضباط ، أما خسائر المصريين فقد تراوحت ما بين ١٥٠٠ أو ٢٠٠٠ قتيل [١٢٢] ، وهذا التقدير خيالى على حد قول داود بركات [١٢٣] .

ويمكن القول أن معركة التل الكبير كانت سلسلة خيانات وفضائح انتهت بهزيمة الجيش المصرى ، وهى هزيمة لا يستحقها الجيش المصرى على الإطلاق ، وكانت الخيانة من أهم الأسباب التى أدت إلى هزيمة الجيش المصرى وانتصار الجيش الإنجليزى ، كانت الخيانة كبيرة وحلت كلمة جديدة فى أفواه المصريين وهى " الولس كسر عرابى "أو الولس هزم عرابى" وربما كان فى العبارة تورية ذكية ، الولس بالمصرية الخيانة والولس هو ولسلى القائد البريطانى [١٢٤].

وبين الخيانة من الداخل ومن الخارج ، فى السياسة وفى الميدان ، وفى صفوف القوات كما فى النظام الحاكم ، جاء الانكسار الأخير فى التل الكبير . لقد بدأ الاستعمار الحديث على حد قول جمال حمدان [١٢٥] ودخل الإنجليز القاهرة فى ١٥ سبتمبر فكانت بداية الإحتلال الإنجليزى ، وظل عرابى – زعيم الثورة ورمزها – والثورة ذاتها موضعاً

للهجوم من جانب الكثيرين ، اتهم بأنه السبب فى الاحتلال البريطانى علماً بأن هذا الاحتلال كان لابد أن يتم حدثت الثورة أم لم تحدث ، وعرابى ورفاقه من العسكريين قد تمردوا ضد الظلم والتفرقة والاستبداد الداخلى والتدخل الخارجى ، والتحموا مع شتى قطاعات المجتمع المصرى المتعطشة للتغيير ، فى الوقت الذى حاولت فيه الفئات المستفيدة من الأوضاع القائمة أن تتآمر على الثورة وقيادتها ، وكون الثورة قد فشلت فى تحقيق أهدافها وواجهت الهزيمة ليس بالحدث الفريد ، فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، فكم من حركة وطنية فى آسيا وإفريقيا واجهت الفشل فى مواجهة تفوق الدول الاستعمارية قبل أن تترسخ الظروف الموضوعية التى أدت إلى انهيار الاستعمار العالمى ، فعرابى ورفاقه هم الذين فجروا عوامل الثورة فى مصر ووضعوا حجر الأساس للحركة الوطنية المصرية المناضلة التى لم تخمد جذوتها حتى تحررت مصر من شتى ألوان النفوذ الأجنبى والطبقية والاستبداد الخديوى [١٢٦] .

**الهـوامــش :**

١- محمد رأفت عباس، الجيش في مصر القديمة عصر الدولة الحديثة (١٥٥٠ – ١٠٦٩) ق.م الجزء الأول، الخصائص والشئون العسكرية، سلسلة الجيش المصري، سلسلة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالتعاون مع الشئون المعنوية للقوات المسلحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥. ص٣٣. وجدير بالذكر أن الجندية في مصر القديمة كانت من أهم المهن التى تسبغ الشرف على صاحبها، وتمنحه ميزة – إن لم تكن ميزات – على أقرانه، بل أكثر من ذلك فإن الجندي حظى بالتقدير والإحترام مثلما حظى الكاهن نفسه. لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحمن زكي، الجيش في مصر القديمة، سلسلة الجيش المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤، ص ٦.

٢- طارق الحريري، جيش الوطن في العصر الحديث، قراءة جديدة لمراحل تطور ودور العسكرية المصرية (الحلقة الأولى) مقال منشور بمجلة المصور، عدد رقم ٤٧٨٥ بتاريخ ٢٠١٦/٦/٢٢م ص ٤٦.

٣- عبد الرحمن زكي، المرجع السابق. ص١٣٤، محمد رأفت عباس، الجيش في مصر القديمة عصر الدولة الحديثة ١٥٥٠ – ١٠٦٩ ق . م، الجزء الثاني الحروب والمعارك، سلسلة الجيش المصري، سلسلة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالتعاون مع الشئون المعنوية للقوات المسلحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥. ص٦٣ وما بعدها.

٤- نبيل السيد الطوخي، تاريخ مصر الحديث (١٥١٧ – ١٩١٤). دار التيسير للطباعة والنشر، المنيا ٢٠٠٧، ص ص ١٢٢– ١٢٣، ولمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد على، الطبعة الرابعة، دار المعارف ١٩٨٢. ص ٣٢٢ وما بعدها، عمر طوسون، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد على الجيش المصري البري والبحري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣٥ وما بعدها، فطين أحمد فريد على، صفحات من تاريخ مصر الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٧، ص ١٥ وما بعدها.

٥- الكسندر شولش، مصر للمصريين أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ١٨٧٨ – ١٨٨٢، تعريب رءوف عباس حامد. دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٣. ص٣٤

٦- لطيفة محمد سالم، القوى الاجتماعية في الثورة العرابية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١، ص ٩٧.

٧- نقلاً عن عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ مصر الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨. ص ٣٣٥.

٨- أحمد عرابى، مذكرات الزعيم أحمد عرابي كشف الستار عن سر الأسرار في النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية، دراسة وتحقيق عبد المنعم إبراهيم الجميعي، المجلد الأول، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ص ١٣- ٩١.

٩- نبيل السيد الطوخي، المرجع السابق. ص١٥٣.

١٠- لطيفة محمد سالم، المرجع السابق. ص ٩٨.

١١- أحمد عرابي، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ص ٩٢- ٩٣، سمير محمد طه. أحمد عرابي ودوره في الحياة السياسية المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٠.

١٢- الشراكسة من العنصر القوقازي الأبيض، وأصلهم من بلاد القوقاز وقد وفدوا إلى مصر منذ عصر الدولة الطولونية وعلا نجمهم بعد الفتح العثماني لمصر واستمر في عهد محمد على وأسرته. نقلاً عن أحمد عرابي، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ١٣، هامش ٤، ولمزيد من التفاصيل عن الشراكسة في مصر في القرن التاسع عشر، انظر: حلمي أحمد شلبي، الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٣، ص ٩٧.

١٣- عبد الرحمن الرافعي، الزعيم أحمد عرابي. كتاب الهلال، العدد رقم ١٠، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٢. ص ١٦.

١٤- لطيفة محمد سالم، المرجع السابق. ص ١٠٢، أحمد عبد الرحيم مصطفى. قيادة الثورة العرابية. منشور في مصر للمصريين مائة عام على الثورة العرابية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٨١، ص ٢٠٩، هامش٨.

١٥- لمزيد من التفاصيل عن هذه الوزارة انظر: يونان لبيب رزق، تاريخ الوزرات المصرية ١٨٧٨ – ١٩٥٣، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨، ص ٥٥ وما بعدها.

١٦- عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢. ص ١٨٨.

١٧- نفس المرجع، ج٢، ص ١٨٩ وما بعدها.

١٨- أحمد بيلي، الصفوة العسكرية والبناء السياسي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ٢٠٣،

١٩- أحمد شفيق، مذكراتى في نصف قرن، الجزء الأول من سنة ١٨٧٣ إلى ٨ يناير سنة ١٨٩٢، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣. ص٣٥.

٢٠- لطيفة محمد سالم، التدخل الأجنبي والثورة الوطنية (١٨٧٩ – ١٨٨٢) منشور في. المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، تقديم ومراجعة يونان لبيب رزق، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٩. ص٣٠٣.

٢١- أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٢. الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٢. ص ١٣٥.

٢٢- لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد عرابي، المصدر السابق، المجلد الأول ص ٢٢٥ وما بعدها، عبد الرحمن الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٨٨ وما بعدها، عبد المنعم الدسوقي الجميعي، وقائع الثورة العرابية دراسات وثائقية. منشور في. مصر للمصريين مائة عام على الثورة العربية، مرجع سبق ذكره، ص ٧٧، لطيفة محمد سالم، القوى الاجتماعية في الثورة العرابية، ص ١٥٢ وما بعدها.

٢٣- عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق. ص ص ٨٩، ٩٠ ، عاصم الدسوقي، محاضرات في معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، الطبعة الثالثة، مؤسسة (ابن خلدون)، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ١٠٨، أحمد بيلي، المرجع السابق، ص ٤٠٤.

٢٤- عاصم الدسوقي، المرجع السابق، ص ص ١٠٨- ١٠٩، نبيل السيد الطوخي، المرجع السابق، ص ٢٠٠. ولمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحمن الرافعي، المرجع السابق، ص ٩٣ وما بعدها.

٢٥- محمد محمود السروجي، الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، ٢٠١٢، ص ٤٣١.

٢٦- عبد المنعم الدسوقى الجميعى، المرجع السابق، ص ٧٩.

٢٧- عبد الرحمن الدافعى، الزعيم أحمد عرابى، ص ٥٣.

٢٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى، الثورة العرابية، سلسلة المكتبة الثقافية، عدد رقم ٣٠، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١، ص ص ٥٧ – ٥٨ ، أنور عبد الملك، دور الجيش فى الثورة الوطنية المصرية ١٩٥٢ – ١٩٦٧. منشور فى فريق من الباحثين بإشراف أنور عبد الملك، الجيش والحركة الوطنية مصر، فيتنام ، باكستان ، إندونيسيا ، اليابان ، الصين ، الكونغو ، ترجمة حسن قبيسى، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢، ص ٦٢.

٢٩- لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد عرابى، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٩٧ وما بعدها، عبد الرحمن الرافعى، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى، ص ١٢٤ وما بعدها، لطيفة محمد سالم، التدخل الأجنبى والثورة الوطنية، ص ص ٣١٨ – ٣١٩، عبد العظيم رمضان، الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ – ١٩٣٦)، مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠، نبيل السيد الطوخى، المرجع السابق، ص ٢٠١.

٣٠- أحمد عرابى، المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٢٩٩.

٣١- أحمد زكريا الشلق، تطور مصر الحديثة فصول من التاريخ السياسى والاجتماعى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٦٦، ولمزيد من التفاصيل عن وزارة محمد شريف باشا الثالثة ١٤ سبتمبر ١٨٨١ – ٤ فبراير ١٨٨٢ أنظر: يونان لبيب رزق، المرجع السابق، ص٩٢ وما بعدها.

٣٢- عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص ٩٢، وجدير بالذكر أن عرابى رفض الخضوع للسطان العثمانى مقابل كرسى الخديوية، لأنه يعادى التدخل الأجنبى لا لمصلحة السلطان وإنما لمصلحة مصر، وكان عرابى لا يريد إلا تحرير بلاده وليس له طمع أصلا فى الاستئثار بالمنافع الشخصية. لمزيد من التفاصيل أنظر: رفعت السعيد، الأساس الاجتماعى للثورة العرابية، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤، ص ١٣٢ وما بعدها.

٣٣- لويس عوض، تاريخ الفكر المصرى الحديث من عصر اسماعيل إلى ثورة ١٩١٩، الجزء الثانى، دار الهلال، القاهرة، ٢٠٠١.، ص ١٨٧.

٣٤- عاصم الدسوقى، المرجع السابق، ص ص ١١١ –١١٢ . ولمزيد من التفاصيل عن نص المذكرة المشتركة ومعانى فقراتها أنظر: محمد فؤاد شكرى، مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ١٨٢٠ – ١٨٩٩ . الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣م ص ١٩٥ وما بعدها .

٣٥- عبد المنعم الدسوقى الجميعى، المرجع السابق، ص ٨٥.

٣٦- عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ١٨٢، أحمد بيلى، المرجع السابق، ص ٢٢٣، صبرى حافظ، فى منفى العرابيين، الحلقة رقم ٤ بعنوان خيانة الثورة .. ومؤامرات الثورة المضادة، منشور فى صحيفة التحرير بتاريخ ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣، ص ١٥.

٣٧- عاصم الدسوقى، المرجع السابق، ص ص ١١٢ – ١١٣، نبيل السيد الطوخى، المرجع السابق، ص ٢٠٣، ولمزيد من التفاصيل عن نظارة محمود سامى البارودى ( ٤ فبراير – ٢٦ مايو ١٨٨٢ أنظر: يونان لبيب رزق، المرجع السابق، ص ٩٧ وما بعدها، كامل مرسى، أسرار مجلس الوزراء، المكتب المصرى الحديث، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٨ وما بعدها.

٣٨- لمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٢٣٨ وما بعدها، أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ص ٨٧ – ٨٨، أحمد زكريا الشلق، المرجع السابق، ص ص ١٦٧ – ١٦٨، جوان كول، الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط، ترجمة عنان على الشهاوى، مراجعة وتقديم عاصم الدسوقى، المجلس الأعلى الثقافة القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٣٠.

٣٩- عاصم الدسوقى، المرجع السابق، ص ١١٣، نبيل السيد الطوخى، المرجع السابق، ص٢٠٤.

٤٠- السيد رجب حراز، المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثمانى إلى الاحتلال البريطانى ١٥١٧ – ١٨٨٢، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٩٣، ولمزيد من التفاصيل أنظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ص ٩٢ – ٩٣، يونان لبيب رزق، المرجع السابق، ص ص ١٠٠ – ١٠١.

٤١- الإمام محمد عبده، مذكرات الإمام محنمد عبده، سلسلة أدباء القرن العشرين، عدد رقم ٢٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٨٢، أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ١١٤، ولمزيد من التفاصيل أنظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ص ٩٣ – ٩٤.

٤٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسالة المصرية، ص ٢١٤، ولمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٢٥٠.

٤٣- عاصم الدسوقى، المرجع السابق، ص ١١٤، ولمزيد من التفاصيل انظر: لطيفة سالم، المرجع السابق، ص ٣٣٤، محمد حافظ دياب، انتفاضات أم ثورات فى تاريخ مصر الحديث، سلسلة تاريخ الجانب الآخر إعادة قراءة للتاريخ المصرى، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١، ص ٩٣.

٤٤- عبد المنعم الدسوقى الجميعى، المرجع السابق، ص ٨٩.

٤٥- أحمد زكريا الشلق، المرجع السابق ص ١٦٨.

٤٦- نقلا عن أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٩٥، ولمزيد من التفاصيل أنظر:عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ص ٢٥٩– ٢٦٠.

٤٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية ، ص ٢١٦.

٤٨- لطيفة محمد سالم، القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية ، ص ٢٤٤.

٤٩- محمد محمود السروجى، المرجع السابق، ص ٤٣٧. ولمزيد من التفاصيل انظر: محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، الجزء الأول، سلسلة تراث النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢، ص ٢٤٦ وما بعدها، عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٢٦٦ وما بعدها، عبد المنعم الدسوقى الجميعى، المرجع السابق، ص ٩١ وما بعدها، لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص٢٢ وما بعدها .

٥٠- اختلفت الروايات فى تقدير عدد القتلى والجرحى من الجانبين لمزيد من التفاصيل انظر: البرت فارمان، مصر وكيف غدر بها، ترجمة عبد الفتاح عنايت، مراجعة على جمال الدين عزت عثمان، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٢٩٠، عبد

الرحمن الرافعى، المرجع السابق ص ص ٢٦٩ – ٢٧٠، لويس عوض، المرجع السابق، ص ٢٢٦ ، نبيل عبد الحميد سيد أحمد، الأجانب وأثرهم فى المجتمع المصرى من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٢٢، الجزء الأول ( التحديد القانونى للأجانب واثرهم الاقتصادى والسياسى ) مكتبة نانسى، دمياط ٢٠٠٤، ص ٥٥ .

٥١- محمد عبد الرحمن حسين، نضال شعب مصر ١٧٩٨ – ١٩٥٦، سلسلة الثورة والحرية، عدد رقم ١٣ ، دار الكتاب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١، ص ٥٩.

٥٢- جدير بالذكر أن الظروف التى كانت تمر بها البلاد أجبرت الخديو توفيق بتكليف اسماعيل راغب بتأليف النظارة الجديدة ( ١٨ يونيو ١٨٨٢ – ٢١ أغسطس ١٨٨٢ ) بناء على نصيحة مشددة من الدول الأجنبية، وقد شغل عرابى ناظر الجهادية والبحرية فيها، لمزيد من التفاصيل انظر: كامل مرسى، المرجع السابق، ص ٦٣ وما بعدها.

٥٣- نقلا عن عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٠٧.

٥٤- محمود فهمى المهندس، البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والآواخر، دراسة وتحقيق ومراجعة لطيفة محمد سالم، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٢٢٩، عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣١٥ وما بعدها، عباس محمود العقاد، ضرب الإسكندرية فى ١١ يوليو، كتاب اليوم، يصدر عن دار أخبار اليوم، عدد يوليو ١٩٥٢، ص ٥٥.

٥٥- عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص ٣٤٤.

٥٦- نقلا عن عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ص ٣١٨ – ٣١٩، عماد أبو غازى، ملحمة الصمود المصرى فى مواجهة جيش بريطانيا العظمى، مقال منشور فى مجلة ديوان، العدد ٢٣ بتاريخ يوليو ٢٠١٥، ص ٢٨.

٥٧- محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده. تحقيق وتقديم محمد عمارة، الجزء الأول ،الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٤٧٨.

٥٨- أحمد عرابى، مذكرات الزعيم أحمد عرابى. كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية، دراسة وتحقيق عبد المنعم ابراهيم الجميعى، المجلد الثانى ،دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٥، ص ٥٧٤.

٥٩- محمود فهمى المهندس، المصدر السابق، ص ص ٢٣٠ – ٢٣١.

٦٠- سمير محمد طه، المعارك العسكرية للعرابيين، بحث منشور فى مصر للمصريين مائة عام على الثورة العرابية، مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٢٠ – ٣٢١.

٦١- نيفين علوان، التجنيد العسكرى وأثره على المجتمع الريفى فى مصر ( ١٨٢٠ – ١٨٨٢ )، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٩، ص ٦٥، طاهر عبد الحكيم. الشخصية الوطنية المصرية قراءة جديدة لتاريخ مصر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢، ص١٦٤.

٦٢- محمود الخفيف، أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٢. ص ص ٣٥٨ – ٣٥٩.

٦٣- لويس عوض، المرجع السابق، ص ٢٤٣، محمد صبيح، كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٨٠.

٦٤- عماد أبو غازى، المرجع السابق، ص ٣٤.

٦٥- لطيفة محمد سالم، التدخل الأجنبى والثورة الوطنية، ص ص ٣٤٣ – ٣٤٤.

٦٦- لورد كرومر، الثور العرابية، ترجمة عبد العزيز عرابى، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩، ص ١٩٦، عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ص ٣٣ – ٣٤.

٦٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق ص ٢٧٨.

٦٨- لمزيد من التفاصيل انظر: سليم خليل نقاش، مصر للمصرين، الجزء الخامس، سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم ١٠٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٢٦.

٦٩- نفس المصدر، ج ٥. ص ١٢٧، محمد صبيح، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

٧٠- عبد المنعم الدسوقى الجميعى، المرجع السابق، ص ص ١٠٤ – ١٠٥، ولمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٤٢ وما بعدها، حسين فوزى النجار، أحمد عرابى، مصر للمصرين، سلسلة أعلام العرب عدد رقم ١٤١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ١٧٢ – ١٧٣.

٧١- عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٤٩ وما بعدها.

٧٢- أحمد شفيق، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٨.

٧٣- حلمى النمنم، الأزهر الشيخ والمشيخة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٦٤.

٧٤- عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٥٢.

٧٥- لطيفة محمد سالم، التيار الدينى فى الثورة العرابية ١٨٨١ – ١٨٨٢. بحث منشور فى الدين والدولة فى العالم العربى، أعمل ندوة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، تحرير عاصم الدسوقى، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص ٥٦.

٧٦- عباس الطرابيلى، أسرة محمد على ايجابيات وسلبيات، مقال منشور بصحيفة المصرى اليوم بتاريخ ٢٠١٦/٧/١٦، ص ٤.

٧٧- عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٣٥٦، عاصم الدسوقى، المرجع السابق، ص ١١٦.

٧٨- محمود الخفيف، المرجع السابق، ص ٣٨٨.

٧٩- نفس المرجع، ص ٣٩٨، أحمد عبد الرحيم مصطفى، كفاحنا ضد الغزاه فى العصر الحديث. منشور فى عبد المنعم أبو بكر وآخرون كفاحنا ضد الغزاة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧، ص ص ٣٢٣ – ٣٢٤، عادل أحمد سركيس، الخيانة هزمت عرابى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص ٧٣.

٨٠- لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٦٤، محمود الخفيف، المرجع السابق، ص ٤٢٠، لويس عوض، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٦٣.

٨١- لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحمن الرافعى، الزعيم أحمد عرابى ، ص ص ١٦٨ – ١٦٩، محمد فيصل عبد المنعم، معارك الثورة العرابية، كتاب التعاون السياسى، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٤٤ وما بعدها، محمد عادل أحمد سركيس، المرجع السابق، ص ٧٤، عماد أبو غازى، المرجع السابق، ص٣٥.

٨٢- عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ص ١٧٣ – ١٧٤، عماد أبو غازى، المرجع السابق، ص ص ٣٥ – ٣٦، لويس جرجس، يوميات من التاريخ المصرى الحديث ١٧٧٥ – ١٩٥٢، سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم ١٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص٢٠٧، صلاح أحمد هريدى، دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٨٠٥ – ١٨٨٢) الجزء الثانى، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٤٥٥.

٨٣- لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد عرابى، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ٦٤٢ – ٦٤٣ ، سمير طه، المرجع السابق، ص ص ٣٢٦ – ٣٢٧، عماد أبو غازى، المرجع السابق، ص٣٦.

٨٤- سمير طه، المرجع السابق، ص ص ٣٢٦ – ٣٢٧.

٨٥- صلاح عيسى، الثورة العرابية، الطبعة الثانية، دار المستقبل العربى، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤١٩.

٨٦- عبد الرحمن الرافعى، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى، ص ٣٦٩.

٨٧- المصدر السابق، الجزء الثانى، ص ٦٠٤.

٨٨- المصدر السابق، ص ٢٤٧.

٨٩- جون نينيه، رسائل من مصر ( ١٨٧٩ – ١٨٨٢ )، تصدير أنور لوقا، ترجمة فتحى العشرى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٤٠١، ولمزيد من التفاصيل عن دور المرأة فى الثورة

العرابية انظر: سامية محمد عبد محمد عبد الرحمن الشرقاوى، المرأة فى مصر فى القرن التاسع عشر ودورها فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية، مكتبة الأداب، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٠، ص٣٥٩ وما بعدها.

٩٠- محمود الخفيف، المرجع السابق، ص ٣٩٩.

٩١- عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٦٦.

٩٢- لويس عوض، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٦٤. ولمزيد من التفاصيل انظر: سليم خليل النقاش، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٤.

٩٣- لويس عوض، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٦٤.

٩٤- نقلا عن محمد حافظ دياب، المرجع السابق، ص ٩٨.

٩٥- عماد أو غازى، المرجع السابق، ص ٣٧.

٩٦- عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٦٧، ولمزيد من التفاصيل انظر: داود بركات، الثورة العرابية بعد خمسين عاما رؤية صحفية الأهرام ١٩٣١ – ١٩٣٢، دراسة وتعليق لطيفة محمد سالم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٠٦.

٩٧- عبد الرحمن الرافعى . المرجع السابق ، ص ٣٦٦ وما بعدها .

٩٨- سمير محمد طه، أحمد عرابى ودوره فى الحياة السياسية المصرية، ص ٢٣٩.

٩٩- لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق ص ٣٧٧ وما بعدها، سمير طه، المرجع السابق، ص ٢٣٩ وما بعدها، عبد العظيم رمضان، أسرار هوجة عرابى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٧٠، لوتسكى، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستانى، دار التقدم، موسكو ١٩٧١. ص ٢٧٢.

١٠٠- نقلاً عن أحمد عبد الرحيم مصطفى، كفاحنا ضد الغزاه فى العصر الحديث، ص ٣٢٩.

١٠١-تعتبر نفيشة أول محطة غربى ( الإسماعيلية ) حيث تبعد عنها نحو ٣ كم كما تتفرع عنها ترعة الإسماعيلية إلى فرعين يتجه أحدهما إلى السويس ويمر الآخر فى خط أنابيب إلى بورسعيد. لمزيد من التفاصيل انظر: محمد فيصل عبد المنعم، المرجع السابق، ص ١٥٤، محمد عبد الفتاح أبوالفضل، تأملات فى ثورات مصر " الثورة العرابية "، الجزء الخامس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٥٧.

١٠٢-محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص ص ١٥٧ – ١٥٨.

١٠٣-لمزيد من التفاصيل انظر: عبد الرحمن الرافعى، الزعيم أحمد عرابى. ص ص ١٧٩ – ١٨٠، محمد فيصل عبد المنعم، المرجع السابق، ص ١٥٥ وما بعدها، محمد عبد الفتاح أبو الفضل،

المرجع السابق، ص ١٥٨، ولمزيد من التفاصيل عن واقعة أسر محمود فهمى المهندس انظر: محمود فهمى المهندس، المصدر السابق، ص ص ٢٥٦ – ٢٥٧.

١٠٤–عبد الرحمن الرافعى، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى، ص ٣٨٠، محمد عبد الفتاح أبوالفضل، المرجع السابق، ص ص ١٥٩ – ١٦٠.

١٠٥–نقلا عن عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٨١، لطيفة محمد سالم، القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية، ص ٢٤٧، وجدير بالذكر أن الأهالى أرسلوا إلى الجيش المصرى بالتل الكبير كل ما يلزم الجيش من مواد الأغذية، بل أن الأهالى أكثروا من إرسال الفاكهة والحلوى على اختلاف أنواعها، فكانت تنقلها عربات السكة الحديدية. انظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٣٣٠.

١٠٦–محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص ١٦٠.

١٠٧–نفس المرجع، ص ص ١٦٠ – ١٦١، ولمزيد من التفاصيل انظر: محمد فيصل عبد المنعم، المرجع السابق، ص ١٥٧ وما بعدها، سمير طه، المعارك العسكرية للعرابيين، ص ص ٣٣٠ – ٣٣١.

١٠٨–محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص ١٦١.

١٠٩–عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٨٥.

١١٠–نفس المرجع، ص ٣٨٥، عبد المنعم الدسوقى الجميعى، المرجع السابق، ص ١٠٩، ولمزيد من التفاصيل انظر: أحمد عرابى، المصدر السابق، المجلد الثانى، ص ص ٦٨٤ – ٦٨٥.

١١١–إحسان عبد القدوس، البحث عن ثورة، سلسلة الثورة والحربية عدد رقم ٢٣، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١، ص ٥٣.

١١٢–لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد عرابى، المصدر السابق، المجلد الثانى، ص ص ٦٩٨ – ٦٩٩، عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٨٦ وما بعدها، محمد عبد الفتاح أبوالفضل، المرجع السابق، ص ص ١٦٢ – ١٦٣، عماد أبو غازى، المرجع السابق، ص٣٧.

١١٣–أحمد عرابى، المصدر السابق، المجلد الثانى، ص ٦٩٩.

١١٤–نقلا عن عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٨٧.

١١٥–نفس المرجع، ص ص ٣٨٩ – ٣٩٠، محمود الخفيف، المرجع السابق، ص ٤٧٢.

١١٦–على يوسف الشهير بخنفس، زعم البعض أنه من صميم المصريين، والحق أنه من حثالة الأتراك وكان مع الأسف الشديد قائد قلب الجيش المصرى وهو الذى اشترى سلطان ذمته للإنجليز، فانسحب بفرقته فافسح الطريق لجيش ولسلى، انظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق،

ص ٣٣٣، محمد جبريل، مصر من يريدها بسوء ؟، كتاب الحرية عدد رقم ١٢، دار الحرية، القاهرة، يونيو ١٩٨٦، ص ٩٨.

١١٧-محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص ١٦٦.

١١٨-أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٣٣٤.

١١٩-عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص ٣٩١، حازم الرفاعى، محمد عبيد وشهداء مصر والسودان المنسيون، مقال منشور بصحيفة الأهرام، بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠١٦، ص ١٠.

١٢٠-لويس عوض، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

١٢١-أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ص ٣٣٤ – ٣٣٥.

١٢٢-عبد الرحمن الرافعى، الزعيم أحمد عرابى، ص ص ١٨٩ – ١٩٠.

١٢٣-داود بركات، المرجع السابق، ص ٢٧١.

١٢٤-محمود الخفيف، المرجع السابق، ص ٤٨٩، عماد أبو غازى، المرجع السابق، ص ٣٨.

١٢٥-جمال حمدان، شخصية مصر. دراسة فى عبقرية المكان، الجزء الثانى، دار الهلال ١٩٩٤. ص ٦٥٧.

١٢٦- أحمد عبد الرحيم مصطفى، قيادة الثورة العرابية، ص ٢٠٨.